الإمام زفر: أصوله الفقهية وآرائه المفتىٰ بها فى تفسير الأحكام

Imam Zufar: His Jurisprudential Principles and his Preffered Views in the Exegesis of Ayat-ul-Ahkam

☆ الدكتور حافظ صالح الدين حقانى
☆☆ حافظ نظام الدين

ABSTRACT

Compilation and codification of Islamic jurisprudence is a great achievement of the Islamic literary history. The productivity and fertility of the mind of the Muslims Scholars was a true and brilliant field of cognitive process. Hanafi school of thought display in these Muslims societies from practice point of view always dominated. In this respect the Imam Zufar (RA) (110AH) had been a great scholar in Hanafi Canon with his unique multi-dimensional features and characteristics. Nevertheless, He was a prominent jurist, Muhaddis, Justice and Mujtahid. He paved a different path to have difference of opinion with his great teacher Imam Abu Hanifa as well as with the rest of famous jurists. This article emphasis on those principles along with examples that at the end evolved to have become his exclusive principles for inference of the Shari,ahka`am.This article will also highlight his versatile scholary life and will help the researchers to investigate about his seminal work.

من المعلوم لدى كل عاقل متدين أن سعادة كل إنسان فى الدنيا والأخرة منوطة بامتثال أوامر اللّٰه تعالى ومحافظة حدوده وكل مسلم لا يخلو عن مواجهة للعبادات والأحوال

☆ الأستاذ المساعد وعميد قسم العلوم الإسلامية والعربية بجامعة عبد الولي خان، مردان.
☆☆ باحث في مرحلة الدكتوراة فى العلوم الإسلامية بجامعة عبد الولي خان، مردان.

الشخصية و أن العبادات هى الحجرة الأساسية فى تحقيق السعادة الدنيوية والأخروية إذا الصلواة تنهى المرء عن الفساد فى الأرض وتنشيء فيه ملكة الصلاح،والزكاة تعالج مادة البخل وتحدث صفة التعاون بين أعضاء المجتمع والصوم تستا صل جزور القوة الشهوانية والحيوانية التى هى أساس الفساد ـ كما أن الحج سبب لحدوث التضامن بين مسلمى العالم وهو من أعظم السعادة الدنيوية للأمة المسلمة وذلك لقولهٖ تعالى۔

﴿ وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَّأَجراً عَظِيْماً ﴾(١)

ولا يبلغ الىٰ نيل هٰذهٖ المقاصد الجليلة و لايتأتى ذالك عمليا إلابالعلم الراسخ والعلم المتكفل بذلك انما هو الفقه لا غير ومن أجل ذلك رفع اللّٰه سبحانه العلمآء من عباده علىٰ آخرين بدرجات لا يعلمها الاهوحيث قال:

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِىْ الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ وَالَّذِيْنَ لايَعْلَمُوْنَ)(٢)

وقال النبى صلىٰ اللّٰه عليه و آلهٖ وسلم :

(مَنْ يُّرِدِ اللّٰهُ بِهٖ خَيْراً يُّفَقِّهْهُ فِىْ الدِّيْنِ)(٣)

وهذا هوالسبب الحقيقى لكون الفقه علما مخدومامن بين معاشر العلمآء الراسخين قديما وحديثاواذا تقرر لدينا أهمية بالغة لعلم الفقه وأن كل شعبة من شعب الحياة لا يسلك فيها حسب مرضاة اللّٰه سبحانه وتعالىٰ يجب أن تبذل الجهود الجبارة للممارسة فيها ولما كان الأمر يجب أن تكون مسائل هٰذا العلم منقحة ممهدة وليكن القول الراجح مميزا من المرجوح ولما كان عدداعديدا من مسائل الفقه الحنفى مما اختلفت فيها أنظار العلمآء المتقدمين كالإمام أبى حنيفة وصاحبيه والامام زفرؒ وعلم بالنظرة الغائرة فى فروع المذهب أن أكثر المسائل الخلافية مما يكون الامام زفرؒ فيها فى ناحية والأئمة الثلاثة فى أخرىٰ ومن اللازم أن يبحث عن آرائهٖ من بين تلك الجزئيات فى ضوء الأدلة ليتميز الراجح من المرجوح وليعلم أنه هل هناك مجمل الأصول التى خالف فيها أصول المذهب كما ستعلم بعضها في هذا البحث،"أصوله فى تفريع الأحكام"

مولده و نسبه:

ولد الإمام زفر من أب عربى من بنى تميم وذلك فى سنة ١١٠هـ حيث جاء فى هدية العارفين عن نسب زفر ما يلى:

الإمام أبو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس بن سليم العنبرى البصرى من أصحاب أبى حنيفة رحمه اللّٰه ولد سنة ١١٠هـ و توفى سنة ١٥٨ هـ)[٤] وقال ابن النديم: هو أبو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس من بنى العنبر و مات بالبصرة سنة ١٥٨[٥] و جاء فى ذكر أخيا أصبهان عن نسبه ما يلى:

زفر بن الهذيل بن مكمل بن ذهل بن ذوئيب بن عمرو بن جندب بن العنبرى بن عمر بن تميم يكنى أبو الهذيل[٦] و قد تابعه فى ذلك ابن حجر رحمه اللّٰه فى لسان الميزان حيث قال: و قال أبو نعيم الأصفهانى فى التاريخ: زفر بن الهذيل بن قيس بن مسلم بن مكمل بن ذهل بن ذوئيب بن جذيم بن عمرو بن حنجور بن جندب بن العنبرى بن تميم بن الهذيل۔[٧]

ولعل أتم نسب له ما ذكر فى وفيات الأعيان حيث ورد فيها ما نصه:أبو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس بن سليم بن مكمل بن ذهل بن ذئيب بن جذيم بن عمر بن حنجور بن جندب بن العنبر بن تميم بن فسر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان العنبرى الفقيه الحنفى[٨]

و جاء فى المعارف لابن قتيبه ما نصه: هوزفربن الهذيل بن قيس من بنى العنبرو يكنى أبوالهذيل[٩] اذاًجميع هذهِ الروايات تشير إلى أن أصل الإمام زفر أصل عربى أصيل ينتهى نسبه إلى عدنان و هو جد النبى محمد صلىٰ اللّٰه عليه و آلہٖ وسلم أما من جهته أمه فكان فارسياً اذأمه كانت فارسيةً ففى الموسوعة الميسرة : زفر بن الهذيل من أب عربى و أم فارسيةٍ[١٠] إلا أن ما ذكر عنه فى موسوعة جمال نصّ فيه أن أصله من أصفهان وأنه غير عربى ولعل من ترجم له فى الموسوعةاعتمد فيهاعلى ما ذكره الزركليفى الأعلام حيث ورد فى الموسوعة ما نصه " زفر بن الهذيل بن قيس العنبرى من تميم أبو الهذيل فقيه كبير من أصحاب الامام أبى حنيفة أصله من أصفهان"[١١]

و جا ء فى الأعلام ما نصه:(زفر بن الهذيل بن قيس العنبرى من تميم أبو الهذيل فقيه كبير من أصحاب الإمام أبى حنيفة أصله من أصفهان_(١٢)

اذاًفالراجح أن صاحبنا هذا كان من أصل عربى و لعل السبب فى نسبته الى أصفهان أنّ أباه كان واليا عليها ولكن كان يحسن با لموسوعة أن تبين ذلك أوعلى الأقل تشير إليه لكن ذلك لم يحدث و لعل هذا اللبس حدث من بعض ا لروايات التى تنسبه الى أصفهان لكن ا لنسبة إلى مدينةٍ لا تقوم دليلا على أن أصله من تلك المدينة وانما شا عت هذهِ النسبة بسبب ا لسكنى كما هو المعتاد عند كثير من أصحاب التراجم حيث يترجمون لغير واحدٍ من العلماء فيقال: الكوفى ا البصرى الدمشقى فمن أى مدينةٍ هى؟و لو أن الموسوعى أو صاحب ا لأعلام قالا: الأصفهانى لقبل لكن لما قالا: أصله من أصفهان يعنى أن أصله فارسى فلم يبق محل للتو فيق بين ا الهذلى والعنبرى و الفارسى و لو قالا:و لاءً لقبل الا أنهما لم يذكرا رقاً حتى يكون ولا ءً بل هو من نسب صلبى عربى صحيح الى ا لعد نا نين أما كو ن أمه فارسيةً فهو لا يجعله فار سيا والّا فام المامون كانت فارسيةً و لم يقل أحد أن أصله فارسى إذا النسب للأب وليس للأمّ وجميع المراجع التى تيسر لنا الاطلاع عليها تشير الى أن تاريخ ولا دته كان سنة ١١٠ هـ ولم يخالف فى ذلك الا ابن كثير حيث ذكر فى ا لبداية و النها ية أن ولادته كا نت سنة١١٦ هـ(١٣)

و لكن الراجح هو أن ولادته كا نت سنة ١١٠هـ لأن ا لمصادر ا لتى هى أقدم مما قاله ابن كثير قد نصت على ذلك .

أما تا ريخ وفاته فقد ا تُّفِق عليه و هو أنه سنة ١٥٨هـ حيث توفى و دفن فى البصرة الموافق سنة ٧٧٥م كما ذكره صاحب ا لقا موس الإسلامى(١٤)

طلبه للعلم:

ما أن شب الامام حتى شرح اللّٰه صدره لحفظ كتا به العزيزاذاًكل الخيرفى كتاب اللّٰه سبحانه وتعالى لكل أحد من غيرفرق بين طالب الدنيا اولاخرة ففى كتاب اللّٰه يجدالمرء بُغيته وبعدأن أخذ القران وحفظه ممن همّ أهله أن يستفيد من ا لعلما ء القراء آت حتى تاقت نفسه الى

شقيق كتاب اللّٰه و ترجمانه و الذى احتوى على تفسيره وبيانه الاوهو سنة رسولنا ا لكريم صلىٰ اللّٰـه عـليـه وآلهٖ وسلم فاشتغل بها حتى صار من الأئمة المحدثين الذين يشاراليهم بالبنان سواء كـان بـالـحـفظ أم بمعرفته بالحديث أوتراجم الرجال كما جـا ء فـى لسان الميزان ما نصه :(و ذكـره ابن حبان فى الثقات وقال: كان متقنا حافظالم يسلك مسلك صاحبيه)[١٥] ولقد نقل عـن ابـن معين أن الإمام زفر رحمه اللّٰه قال له: "هات ما عندك من الأحاديث أغربلهالك غربلةً" ومكانة ابن معين فيما بين المحدثين مما لا يخفى على أحد و مع ذٰلك يشهد له فهذا ان دل على شي ء فانما يدل على ا لبا ع ا لطولٰى له فى الحديث و قال فيه ابن معين: "كان ثقةً ما موناً".[١٦]

و قـال عـنه صا حب العبر أنه كان ثقةً فى الحديث أجمع المحدثون على أن الامام زفر رحمه اللّٰه كان ثقةً ماموناًحا فظا ناقدا بصيرا فى الحديث[١٧]

و أمـا ماذكره عنه ابن سعد فى الطبقات من أن زفر ليس بشئ فى الحديث [١٨] فعبارة ابـن سـعـد هـذه ليسـت بـمـفسرة فى النقد بل أنها تحتمل أن يكون المراد منها قلة مروياته كما وضح ذٰلك فى كتاب الرفع والتكميل۔[١٩]

شيوخه:

لـقـد أخـذ الامام زفر العلم عن أكثر علماء عصره ومن محدثيهم حتى برع فى كل شئ وزاحـمهـم فـى الـعـلـوم و ساواهم فى الفتيا فى حيا تهم وقبل مماتهم و من أشهر من أخذ عنهم الـعـلـم الـحـجـاج بـن أرطـاة وأيوب السختيانى و محمد بن اسحاق و الأعمش و أبو حنيفة و غيرهم۔[٢٠]

أصوله فى تفريع الأحكام:

و عـلـى ا لـرغـم مـن اعتبار زفر من أتباع المذهب الحنفى و حرصه الشديد عليه وحبه الفائق لأستاذه أبى حـنيـفة ا لذى كان يحرص أن يوافقه بعد وفاته ولا يحب أن يخرج عن آرائه فقد روى عن يحى بن أكثم۔[٢١]

قـال:قـال زفـر:لـم أجترىء أن أخالف الامام بعد وفاته لأنه ألزمنى و ردنى الى قوله فى حيـاتـه وأمـا بـعـد وفـاته فكيف أخالفه و هو لو كان حياً وحاج ردنى الى قولهٖ[٢٢] الا أنه على

الرغم من ذلك خالف فى بعض الأصول وانفرد بأصول خرج عليها خالفت أصول الإمام و صاحبيه ولكن لشدة تمسكه بالمذهب اعتبرت أصولا فى المذهب ولم تعتبر أصولا خارجة عن المذهب و تنطوى تحتها جزئيات كثيرة ومن هنا كان مؤثرا بالمذهب الحنفى ولايرى بوسعه الخروج عليه۔وقد ذكرها الدبوسى فى كتاب تأسيس النظر و عقد لها فصلا خاصا۔[٢٣]

مجمل الأصول التى خالف فيها أصول المذهب:

لقد ذكر الإمام أبو زيد الدبوسى فى كتابه" تأسيس النظر "الأصول المختلفة فيها بين الامام زفر و الأئمة الثلاثة وهى:

الأصل الأول:

ان ما قام مقام غيره فى حكم فانه لا يقوم مقامه فى جميع الأحكام عند الإمام وصاحبيه و عند زفر يقوم مقامه فى جميع الأحكام۔

ويتضح هذا بفرعية وهى أن الرجل اذا كان يركع ويسجد فاقتدى بالمومى برأسه لا يجوز عندنا لأن الايماء له حكم القيام فى حق جواز صلاة المومى فلا يقوم مقامه فى حكم اٰخر وعنده لما أقيم هذا مقام القيام فى جواز صلاته أقيم أيضاً مقام القيام فى جواز صلاة غيره۔

الأصل الثانى:

ينقلب التصرف جائزاً بعد ماكان فاسداً لمعنىً يحدث عند الثلاثة وعنده لا ينقلب جائزاً لمعنىً يطرأ الا بالتجديد والاستيناف۔

ومن فرع هذا الأصل ما اذا اشترىٰ شيئاً مرابحة ولم يسم ثمنا فنفاذالبيع موقوف على تسمية الثمن لأجل أن صحة المرابحة لايتأتى بدون أن يعلم الثمن الأول فان سماه ورضى به نفذالبيع عندنا و عندزفر لا ينفذ العقد ولا يجوز وان سمى مقدار الثمن بعد ذلك ۔

الأصل الثالث:

العارض فى الأحكام انتهاءً له حكم يخالف حكم الموجود ابتداءً عند الثلاثة و عند زفر حكمه حكم الموجود ابتداءً۔

وهذا كما اذا تغرت القوم عن صلاة الجمعة بعد ما قيد الإمام الركعة بالسجدة فان

ذالك لا يمنع من المضى عندنا وعند زفر يمنع ويجعل اعتراض فرار القوم بمنزلة فرارهم وتفرقهم عند التحريمة۔(٢٥)

الأصل الرابع:

الشئ الذى لا يتجزأ وجود بعضه كوجود كله عند الثلا ثة وعند زفر لا يكون وجود بعضه كوجود كله۔

كمن قال لامرأته أنت طالق ان حضت نصف حيضة لم يقع الطلاق مالم تحض حيضة كاملة لأنها لاتتجزأ فكان ذكر بعضها كذكر كلها على ما هو أصل عند الثلاثة وعند زفر اذا رأت الدم خمسة أيام وقع الطلاق ولا يجعل ذكر بعضها كذكر كلها۔(٢٦)

الأصل الخامس:

الخلاف فى الصفة غير معتبر عندهم و عند زفر معتبر۔

مثل ما اذا قال لغيره طلق امرأتى تطليقة رجعية فطلقها تطليقة بائنة أنه يقع تطليقة رجعية لأنه خالف فى الصفة فلم يعتبر خلافه وعند زفر لا يقع شيئ لأنه خالف ما امربه فصار كأنه طلقها بغير امره۔(٢٧)

الأصل السادس:

القليل من الأشياء معفو عنه وعند زفر معتبر۔

وعلى هذا قال أصحابنا الثلاثة أن الخارج من غير السبيلين اذا قل ولم يسل عن رأس الجرح لا يوجب نقض الطهارة وعند زفر يوجبه ولا يعفى عنه وان كان يسيرا ۔

ألأصل السابع:

نية التميز فى الجنس الواحد لاتعمل عند هم وعند زفر تعمل:

مثاله اذا ظاهر من أربع نسوة له ثم أعتق بعددهن رقاباً ولم ينو عن كل كفارة بعينها أجزأه لأن الجنس واحد فاستغنى عن نية التميز وعند زفر لا يجزيه لأن نية التمييز فى الجنس شرط (٢٨)

الأصل الثامن:

ان العبرة بما يتعلق بهٖ الحكم لا بما يظهر بهٖ الحكم وعند زفرالذى يظهر بهٖ الحكم

كالذى يتعلق به الحكم :(٢٩)

وعلى هذا قال أصحابنا اذا شهد شاهدان انه قال لعبده ان دخلت هذهِ الدار فأنت حر وشهد آخران أن العبد دخل الدار وقضى القاضى بعتقه ثم رجع الشهود جميعا فانه لا ضمان على شاهدى الدخول عند علمائنا الثلاثة وعند زفر يضمن الفريقان لأن وجوب العتق طهر بشهادتهم۔

النتيجة:

وتحت كل من هذهِ الأصول عشرات المسا ئل الجزئية ان لم تكن مئات وليس هذا موطن ذكرها ولكن على الرغم من ذلك فهو فى عداد الأحناف حتى فيما خالف فيه فى الأصل يعتبر من جملة المذهب الحنفى اذهو من مؤسسى المذهب الحنفى ويعتبر رأيه را ياً فى المذهب و لذا رجح رأيه فى بعض المسائل ويعتبرونه قولا راجحا فى المذهب وعليه الفتوى۔

الهوامش

١۔ سورة الفتح:٢٩

٢۔ سورة الزمر:٩

٣۔ صحيح البخارى ،كتاب العلم (٣)باب من يردالله به خيراًيفقهه فى الدين (١٤) برقم٧١

٤۔ إبن النديم،محمد بن إسحاق، "الفهرس لإبن النديم ص ٢٥٨، مطبعة البابى الحلبى بمصربدون تاريخ

٥۔ ايضاً

٦۔ أبو نعيم الأصبهانى،أحمد ابن عبدالله، ذكر اخبار اصبهان، ٣١٧/١ ، مطبعة بريل مدينة ليدن ١٩٣٤م۔

٧۔ حافظ ابن حجر العسقلانى، احمد بن على بن محمد، لسان الميزان، ٤٧٦/٢ مطبعة حيدر آباد دكن الهند، بدون تاريخ۔

٨۔ ابن خلكان، أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان ، ٣١٧/٢ ، مطبعة دار الثقانة ، بيروت ١٩٧٢م۔

٩۔ عكاشة،ثروت، تحقيق على المعارف لأبن قتيبه ٩٤٧/١ المطبعة دارالثقافة بيروت ١٩٧٢م۔

١٠ـ الموسوعة العربية الميسرة ،ص:٩٤٥ دار الشعب ومؤ سسة فرنكلين۔

١١ـ الزركلى ، خير الدين ،الأعلام،٧٨/٢، بيروت (ط٣)١٩٤٩م۔

١٢ـ موسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الاعلى المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٢٥٩/١ الطبعة اولى مصر۔

١٣ـ ابن كثير، اسمعيل بن عمر، البداية والنهاية ،١٢٩/١٠ مطبعة السعادة بمصر۔

١٤ـ عطية اللّٰه،احمد،القاموس الأسلامى ٦٥/٣ مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٠م۔

١٥ـ لسان الميزان ، ٤٧٦/٢۔

١٦ـ الجواهر المضية ، ٥٣٥/٢۔

١٧ـ إبن العماد'الحمبلى،شذرات الذهب ،٢٤٣/٢، مطبعة الخيرية بمصر ١٣٥٠هـ ۔

١٨ـ ابن سعد ، محمد بن سعد،عبد الحييطبقات الكبرىٰ ٢٧٠/٤ ، طبعة دارصادر، بيروت لبنان ١٣٧٤هـ

١٩ـ اللكنوى، محمد بن عبدالحيى ،الرفع والتكميل،ص:٩٩٩، مكتبة المطبوعات الإسلامية بيروت بدون تاريخ۔

٢٠ـ لسان الميزان : ١٠٦/٣

٢١ـ هو ابو محمد بن اكثم بن محمد التيمى المروزى ثم البغدادى بن صيفى حكيم العرب كان فقيها عالما بصيرا بالاحكام ثقة فى الحديث روى عنه الترمذى وغيره وله موقف مشهور مع المأمونى فى التحريم المتعة ولى قضاء مصر ثلاثة ايام وتوفى سنة ٢٤٢هـ انظر الفكر السامى : ٢٧٧/٣۔

٢٢ـ مفتاح السعادة ٢٤٩/٢

٢٣ـ الدبوسى ، عبيد الله بن عمر عيسٰى ،تاسيس النظر:ص:٣٨، ٤٧ المطبعة بمصر بدون تاريخ۔

٢٤ـ تاسيس النظرص:٤٠

٢٥ـ المرجع السابق ص:٤٥

٢٦ـ المرجع السابق ص:٤٧

٢٧ـ تاسيس النظر ص:٤٨

٢٨ـ المرجع السابق ونفس الصفحة

٢٩ـ المرجع السابق ونفس الصفحة